

الفكر الثوري في الفن التشكيلي الجزائري

طالب الدكتوراه: عبد الصديق إبراهيم
تحت إشراف: أ.د. طرشاوي بلحاج
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

ملخص الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى إضاءة السيرة الثورية والفنية في الأعمال الفنية التشكيلية الجزائرية، من خلال الوقوف عند إسهامات الفن التشكيلي الجزائري في الثورة التحريرية. لقد برز نضال الفنان التشكيلي الجزائري في موضوعات متعددة ذات اتجاهات فنية مختلفة، كفن المنمنمات عند الفنان محمد راسم، وفن الخط والزخرفة عند الفنان عمر راسم، والتعبيرية التجريدية عند الفنان امحمد اسياخم، فضلا عن اتجاهات فنية متباينة أخرى تجلّت في أعمال الفنانين فارس بوخاتم، وإبراهيم مردوخ، وإسماعيل صمصوم، ومحمد عويس، وعبد العزيز رمضان، وصالح حيون، وعبد الحميد لعروسي، ومسلي محمود شكري. هذا، وسلّطت الدراسة الضوء على لوحة نساء الجزائر للفنان بابلو بيكاسو، وكذا على أعمال الفنان المستشرق نصرالدين دينيه المتصلة بالثورة.

الكلمات المفتاحية: الثورة التحريرية، الفنان التشكيلي الجزائري، السيرة الثورية الفنية.

Résumé :

Cette étude tente de mettre en exergue les œuvres d'artistes algériens et leurs contributions dans la Révolution algérienne. Le combat de l'artiste peintre algérien est visible à travers plusieurs thématiques regroupant divers courants artistiques à l'instar de la miniaturisation chez Mohamed Racim, la calligraphie et l'ornement chez Omar Racim et l'expressionnisme chez Mohamed Issiakhem, ainsi que d'autres courants artistiques caractérisés à travers les œuvres d'art : de Fares Boukhatem, Ibrahim Merdoux, Ismail Samsoum, Mohamed Aouis, Abdelaziz Ramdane, Salah Hayoun, Abdelhamid Laroussi, Mesli et Mohamed Choukri. Cette étude tente aussi à analyser la toile *Les femmes d'Alger* de l'artiste peintre Pablo Picasso, ainsi que les œuvres du peintre orientaliste Nasreddine-Dinet sur la Révolution algérienne.

Les mots clés : La Révolution algérienne, l'artiste peintre algérien, la biographie artistique révolutionnaire.

مقدمة:

قام الشعب الجزائري بعدة ثورات طوال فترة الاحتلال، وكان ختامها ثورة نوفمبر 1954 التي شملت جميع أرجاء الوطن بقيادة حزب جبهة التحرير الوطني، فكان لها صوتا حقيقيا في العالم. "ولم تتح ظروف الحرب مجالا لأن تأخذ أشكال الإبداع الفني طريقها في المشاركة الإعلامية الثورية كالفنون التشكيلية والقصة والرواية والمسرحية إلا بحدود ضيقة جداً.. بعكس الشعر الذي كان شكلا فنياً وحيداً، استخدم لتعميق المشاعر الوطنية والهيب حماس المناضلين في معركة التحرير"⁽¹⁾.

لقد هزت ثورة التحرير كيان الاستعمار وأخذ الشعب حريته منه، وعلى الرغم من المشاكل المعاشة أيام الاحتلال، إلا أنه كانت هناك جماعة من المثقفين يعبرون عن رفضهم للواقع المفروض على شعبهم، فقاموا بانتفاضة عبروا عنها بواسطة أعمالهم في المجالات الفكرية، والإصلاحية، والأدبية والفنية.

فقد برز رجال سلاحهم الريشة والقلم والكلمة المعبرة لتحقيق النصر المظفر، وإسماع صوت الجزائر التي كانت تناضل من أجل استقلالها عبر كافة أنحاء العالم. انتصب المثقفون والفنانون الجزائريون في ظل

احتجاج توارثوه منذ قرن على الأقل، وجعلوا من الأدب والشعر والفنون التشكيلية وسيلة للتعبير عن الثورة والمأساة التي عاشها الشعب الجزائري.

فهؤلاء الفنانين قد جعلوا من الفنون التشكيلية وسائل للتعبير عن آلام الشعب ومعاناته، ومن أجل المساهمة بفعالية في إيقاظ الضمائر، حدث الانسجام بين الشعب والفنانين الذين اتخذوا الوطنية شعاراً لأعمالهم الفنية التي عبرت عن الظروف المعيشية آنذاك وكانت تحت على التغيير من خلال تحسيس الشعب وتوحيد الصفوف تمهيدا للعمل التحرري. ونذكر منهم **محمد ديب ومحي الدين بشطارزي ومحمد خدة وشكري مصلي ومحمد اسياخم ومحمد راسم وكاتب ياسين ومولود فرعون** وآخرون، فضحوا بأعمالهم فظاعة الاستعمار من أجل حمل الشعب وقيادته إلى المعركة النهائية، فمن خلال الرسم أنجزت صور لكبار الأبطال الذين ثاروا في وجه الاستعمار وعارضوا تواجده بالجزائر، إلى جانب لوحات أخرى مثلت كبرى المعارك ضد العدو. ولا شك أن صور **الأمير عبد القادر والمقراني وأولاد سيدي الشيخ وبوعمامة والشيخ الحداد** أو حتى **معركة الزعاطشة** وغيرها مثلت العديد من النداءات والدعوات الدائمة والمتجددة إلى الحفاظ على الروح الوطنية والثورية.

السيرة الثورية والفنية للفنان محمد راسم:

ومن الفنانين السابقين إلى الدعوة للنضال منذ الأربعينيات الفنان التشكيلي **محمد راسم** الذي ولد بالجزائر العاصمة عام 1896 م، وهو ينحدر من أسرة عريقة في إبراز التراث التقليدي والانتماء الإسلامي للشعب الجزائري. ويعد **راسم** من رواد المدرسة التقليدية، حيث اهتم برسم المناظر الطبيعية والأحياء والزوايا الشعبية بالألوان الزيتية، كما برع في فنون المنمنمات والزخرفة. برزت قدراته الإبداعية أثناء عمله أستاذاً في المدرسة الوطنية للفنون الجميلة في مدينة الجزائر، "وأعاد محمد راسم بناء المنمنمة الإسلامية التي لم تعرف بعد (البعد الثالث) عندما ظلت محاصرة بين بعدي الطول والعرض، في ظل غياب العمق الذي جعل من واقعيتها مجرد لغة "اصطلاحية" تسرد حادثة ما.. دون الاستناد على قاعدة البناء الهندسي القائم بأبعاده الثلاثة، وأضفى عليها روح الحداثة بجرأة مبدع جعل المنظور يعتمد على التضال النسبي الموحى بالعمق من خلال تناقص الأشياء وضآلتها كلما ابتعدت عن عين المتلقي عبر استخدام تقني دقيق لحدة الألوان والتلاعب بمستويات تدرجها .. وأطلق الخطوط العريضة في البناء العضوي الذي قسمه إلى أجزاء منتظمة متناسقة تبرمج حركية الزمان والمكان في تسجيل الحدث." (2)

ويعتبر الفنان **محمد راسم** خير مثال للفنانين الثائرين ضد الاحتلال، رافضاً مشروع تبديد الذاكرة الجماعية للشعب من قبل الاحتلال الفرنسي، فقد فرض أسلوبه المتمثل في إحياء فن المنمنمات الجزائرية، إذ لاحظ أنه لا بد من انتقاء جوهر الموروث العربي الإسلامي، ودعم هذا التوجه نحو الفن التصغيري باعتباره الأسلوب الذي يشير إلى الملامح العربية الإسلامية في الفن، وفيه جانب من الخصوصية القومية (المحلية)، ومن خلاله حاول **محمد راسم** أن يضمن أفكاره الوطنية في بعض لوحاته (المصغرة)، وأن يلهب مشاعر الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي في انتمائها غير المباشر إلى خط المقاومة الشعبية في ظل ظروف تاريخية أعطت لفناني (المصغرات) مكانتهم في ذاكرة الشعب، وبالرغم من الاحترام الذي قوبل به عند الأوربيين بسبب فنه الدقيق الرصين، فإنه لم يُخفِ تدمره ورفضه للوجود الاستعماري.

ويتجلى أثر الفنان **محمد راسم** في حركة تطور فن المنمنمات الشرقية الإسلامية أو ما يسمى (فن التصوير التصغيري) في منمنماته التي أعطت بادئ ذي بدء المعنى الأرقى لخصائص الجمال الفني في مكونات الهوية الجزائرية، وجسدت روح الأصالة في تطوير التراث الفني الإسلامي ووضعته في مسارات التطور التشكيلي المعاصر، وفرضته نوعاً فنياً شرقياً إسلامياً راقياً في أروقة الحركة التشكيلية الأوربية منذ أوائل القرن الماضي رغم احتدام معارك التيارات الفنية المعاصرة (الدادائية، الوحشية، السريالية، والتكعيبية). (3)

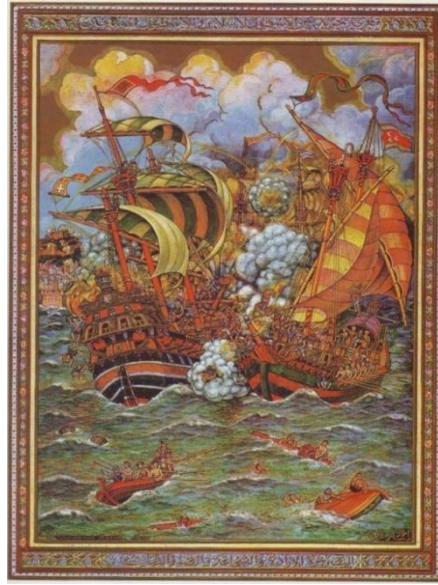
واكتسب عمله الفني وجهين الأول جمالي والثاني تاريخي، فالأول كونه يحتوي على زخارف وفق قواعد التصوير والزخرفة الإسلامية، والثاني من حيث التأريخ. فكل أعماله تقريباً احتوت مواضيع تاريخية كالمقاومات والمعارك وشخصيات من المقاومة النضالية الجزائرية مثل لوحة **الأمير عبد القادر** كما في الشكل رقم (1).



لوحة الأمير عبد القادر، منمنمة، ألوان ترابية على ورق ، شكل رقم (1)
وما إلى ذلك مما يرتبط بثورة الجزائر، ويتبعها بكتابات خطية في ركن من اللوحة متخفية تدعو إلى
الجهاد، كقوله تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا)، (وما النصر إلا من الله العزيز الحكيم) (إن تتصروا الله
ينصركم) وكذا أقوال أخرى (الجنة تحت ظلال السيوف)، (الحرية ثمرة الصبر والثبات والشجاعة) ،
(الفوز ثمرة الشجاعة) باعتبارها شفرات يفهمها عامة الشعب تدعوا للجهاد في سبيل الله والوطن ...
(ينظر الشكل رقم 2 و 3 لمعارك بحرية).

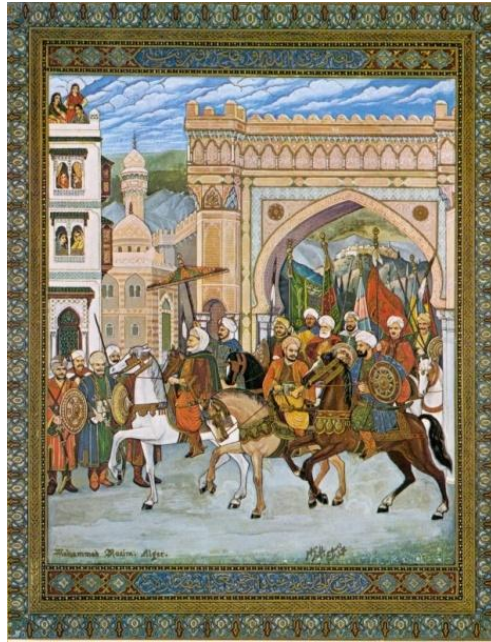


معركة بحرية بين الأسطول الإسلامي والمسيحي شكل
رقم (2)



لوحة معركة بحرية شكل رقم (3)

ومن المواضيع التي عالجها راسم المعارك البحرية بين الأسطول الإسلامي والمسيحي. وأيضا لوحة رجوع الخليفة عبد الرحمان بعد انتصاره من الحرب وسط جمع في الحي والشعب محتفل بالانتصار، نلاحظ الخليفة بزّيه الإسلامي، ونلاحظ أعلى اللوحة تكرار كتابة نصر من الله وفتح قريب (ينظر شكل رقم 4) .



لوحة عودة الخليفة عبد الرحمان من الحرب شكل رقم (4)

ولوحة خير الدين بربروس الذي يعد من الشخصيات المهمة في تاريخ العهد العثماني في الجزائر، جسده راسم بزّيه التقليدي من العمامة الصفراء والقبعة الحمراء والعباءة وكذا الأسلحة من الخنجر والسيف بغمده، ووقفته الثابتة والنظرة الثاقبة التي تبين قوة شخصيته وحكمته وتحكمه في زمام الأمور. فنلاحظ في خلفية اللوحة الأسطول الجزائري من جهة والذي يرمز للقوة، ومن الجهة الثانية الجامع الكبير يرمز هو الآخر إلى العقيدة الإسلامية وفوقه الراية الوطنية آنذاك التابعة للدولة العثمانية، (ينظر الشكل رقم 5).



لوحة خير الدين بربروس شكل رقم (5)

"وأصبح العالم كله يعترف للفنان بموهبته وتفوقه، فمُنح وسام الفنانين المستشرقين عام 1924 الذي كانت تمنحه رابطة الفنانين الغربيين المقيمين في الجزائر لكبار الفنانين، وذاع صيته أقاليم أوربا حيث منح العضوية الشرفية لجمعية الفنانين الملكية في إنجلترا، وفي هذا العام نفسه عين أستاذاً في مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر"⁽⁴⁾.

"اهتم راسم بتصوير التراث العربي الإسلامي، وخاصة من خلال عمله "الخالدين": حيث أعاد تصوير أحداث كتاب ألف ليلة وليلة، وشدت أعماله الفذة انتباه الرسام نصر الدين دينيه فاقترح عليه تزيين مؤلفه حياة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أقام الفنان محمد راسم العديد من المعارض الشخصية في القاهرة ولندن وباريس وفيينا وستوكهولم وكوبنهاجن وأوسلو وتونس وبيروت وبغداد والجزائر، وفاز بالجائزة الكبرى في الفن التشكيلي عام 1933، وتوجد أعماله في متحف الفنون الجميلة في الجزائر العاصمة"⁽⁵⁾.

تمكن بعبقريته الفنية أن يؤسس مدرسة عالمية، فلا يذكر مجال هذا الفن إلا ويذكر محمد راسم رائداً من رواده. "وقد لا نبالغ إذا زعمنا أن هذا الفن لم يهتم به في الوطن العربي الحديث مثلما اهتم به في الجزائر، من خلال ما قدمه راسم من إنجازات أعادت المنمنمات بوصفها فناً عربياً وإسلامياً"⁽⁶⁾. لهذا نعد إلى إلقاء بعض الآراء المتفرقة عن محمد راسم.

"قد أطلق عليه أوغسطين بيرك اسم (أمير المنمنمات) وقال إنه كان يمزج في أعماله بين أصالة الفن الفارسي ونارية المزاج الجزائري"⁽⁷⁾. ووصفته مجلة - الرسالة - المصرية سنة 1937 بقولها " ... والواقع أن الفن العربي لم يفقد شيئاً من طرافته، ولا أوضاعه التقليدية، بل ولا رونقه وتفوقه، فما قول سادتنا الفرنسيين، الذين ينكرون على الفن الإسلامي كل فضائله ومزاياه، بعدما شاهدوه من نبوغ محمد أفندي راسم"⁽⁸⁾.

وعلقت أيضاً جريدة النجاح الصادرة بالجزائر بمدينة قسنطينة في السنة نفسها أيضاً (1937) بأنه " ... قد عرف الناس نبوغ السيد محمد راسم الفني، وافتخر الوطن الجزائري بزخارف الصناعة الحية الدالة على دقة الذوق وكمال العقل"⁽⁹⁾.

وقد سقط هذا الفنان العملاق ضحية اغتيال بشع، فكانت وفاته في 1975 عن عمر يناهز 79 عاماً.

السيرة الثورية والفنية للفنان عمر راسم:

اشتهر عمر راسم بالخط إلى جانب الزخرفة وبأسلوب مشابه لأخيه محمد راسم وبمواقفه الشجاعة إذ سخر هو الآخر فنه لمقاومة الاستعمار، "فقد اهتم بمجال الصحافة ليصدر العديد من الصحف الوطنية التي كان يرسمها ويكتبها بخط يده، جريدة الجزائر، ذو الفقار، وكان قد عمل في جريدة المبشر الرسمية التي استدعته للاستفادة من معارفه وخطوطه ورسوماته"⁽¹⁰⁾، التي كان يدعو فيها للجهاد ويكشف جرائم فرنسا وأساليبها الاستعمارية، كالتجنيد الإجباري الصادر سنة 1912، بكل شجاعة وثبات رغم اعتقاله عدة

مرات، فحياته لم تكن حياة سهلة ، بل كانت مسيرة شاقة تكبد فيها الكثير من المتاعب: "وقد لقي في سجنه عذابا شديدا وقد وصف ذلك في رسالة له، أرسلها لأخيه سنة 1919 قائلا : إني الآن أعيش الفترة الأكثر صعوبة في حياتي، إن اللحظة التي أستطيع فيها التنفس لم تحن بعد فهل أستطيع تحمّل هذه الوضعية التي لا تطاق؟ هل أستطيع أن أعيش في هذه المحنة القاسية ؟ لمن أتوجه ؟ لمن أشكو؟ حتى البكاء الذي سيخفف عني لا أستطيعه لأن ذلك يجب أن يكون بعد إذن..."⁽¹¹⁾.

كما يقول المفكر أبو القاسم سعد الله عن الفنان عمر راسم "يحق لرجل كعمر راسم أن يكون شاهدا على العصر الذي عاش فيه وهو من سنة 1884 إلى 1959، إنه عصر تغيّرت فيه حالة الجزائر من حالة خمود إلى حالة صمود، ومن ثورات في الريف إلى حراك في المدن"⁽¹²⁾.

السيرة الثورية والفنية للفنان فارس بوخاتم:

ونجد فنانين كثر قد عالجوا قضية الثورة، ف سجلوا في لوحاتهم أمجاد ثورة نوفمبر 54، ومواضيع أخرى تتعلق بتحرر الشعوب، ومنهم الفنان فارس بوخاتم فنان الثورة كما أطلق عليه، ولد سنة 1941 بقرية المرسط بولاية تبسة، عاش حياة حافلة بالنضال الثوري سواء تشكليا أو قتالا ضدّ المستعمر، حيث التحق بجيش التحرير الوطني الجزائري عام 1957، وجعل فنه لخدمة الثورة برسوماته المتسلسلة لحياة المجاهدين التي جسّدها في مجموعة من اللوحات حملت عنوان المعارك.

أصيب فارس بوخاتم أثناء عبوره الحدود التونسية على خط موريس ليجعل من تلك الحادثة مشهدا لعدة لوحات منها لوحة **مذابح خط موريس** الموجودة حاليا بالمتحف المركزي للجيش الجزائري ، ونقل على إثر إصابته إلى المستشفى الصادقية في تونس، وهناك التقى بفرانز قانون الذي شجعه على مواصلة الرسم تخفيفا لآلامه.

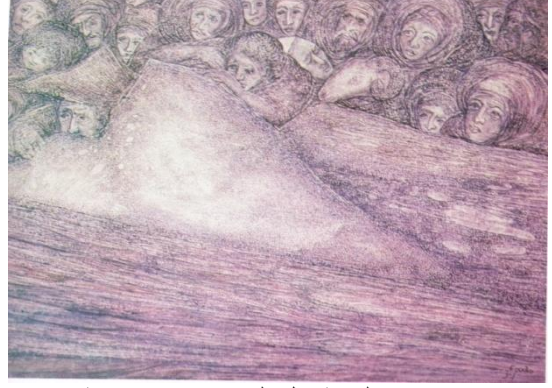
وبعد خروجه من المستشفى ، انضمّ إلى الفرع الفني الذي أنشئ داخل مصلحة الدعاية لجيش التحرير الوطني ، حيث كلف بتزيين المنشورات الخاصة بالجيش إضافة إلى قيامه بتنفيذ رسوم توضيحية مع قصائد كان يكتبها المجاهدون، "وفي عام 1961 استقر الفنان في قرية الكاف بتونس مع الرسامين لينفذ العديد من أعمال بالألوان المائية موضوعها الحرب التحريرية. وبعد الاستقلال التحق بمدرسة الفنون الجميلة بالجزائر العاصمة سنة 1963م كما درس بالمعهد العالي للفنون الجميلة ببيكين سنة 1966 وبأكاديمية براغ بتشيكسلوفاكيا سنة 1977"⁽¹³⁾.

تميّزت غالبية أعماله بوهم البحث عن الحرية، حيث قدّم فيها جانبا من فردية الإنسان الجزائري التي ظلت مقهورة على امتداد قرن وثلاثين سنة، على الرغم من كونه كان يعيش يومها ظروفًا متميزة من تاريخه ، باحثًا عن سبيل التطور لمجتمعه وثقافته، ظانا أن التعبير الشعبي الماضي والحاضر يحمل عناصر قادرة على إغناء ثقافته الجديدة.

ومن أعماله ما يصف مشهدا مؤلما لرحلة اللاجئين عبر الحدود التونسية (ينظر: الشكل رقم 6)، والمشهد له امتداد في لوحة **قبل العبور**، حيث نلاحظ فيه الرجال والنساء والأطفال حتى المواشي يعبرون النهر متلاحمين خوفا من الغرق والتي تعبر عن الوحدة (ينظر: الشكل رقم 7). هذا، وهناك لوحة **خط موريس** التي يظهر فيها جنود يعبرون الحدود مسارعين خوفا من انفجار القنابل لا خوفا من الشهادة لأنها مناهم، ولكن يخافون من الإعاقة ويعجزون عن الكفاح والدفاع عن الوطن (ينظر: الشكل رقم 8).



اللاجئون يعبرون الحدود شكل رقم(6)



لوحة قبل العبور غير مؤرخة،حبر صيني على ورق، 27 × 24 سم شكل رقم (07)

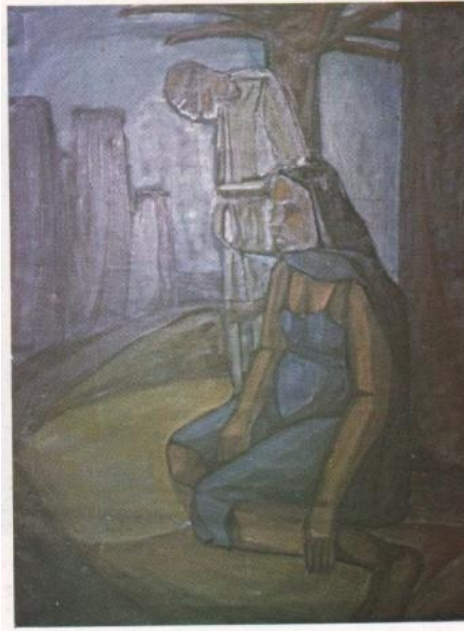


لوحة خط مورييس، غير مؤرخة، حبر صيني، 36 × 24 سم
شكل رقم (08)

ومن الأحداث التي أثرت فيه استشهاد المرأة التي ضربت ضابط سامي في القوات الفرنسية بالفأس على رأسه من أجل شرفها، والتي عذبت بأشنع التعذيب وصوّرها المستعمر عارية مقيدة بالحبال، هذه الصورة التي تحمل في عمقها تاريخ امرأة يقال عنها المرأة الملحمة اسمها **بن جدة مهنية** من ولاية تبسة النمامشة رمز الشرف للمرأة الجزائرية، والتي استشهدت سنة 1958 هي وأختها عائشة. هذه الصورة ألهمت الفنان التشكيلي فارس بوخاتم ليجعل من صورتها رمزا بطوليا يروي قصتها للعالم بطريقته، وليشارك بها في معارض داخل الوطن وخارجه وينال بها جوائز منها جائزة في الصين الشعبية سنة 1966.

السيرة الثورية للفنان إبراهيم مردوخ:

الفنان إبراهيم مردوخ من مواليد 1938 بالغرارة مزاب، وهو من الفنانين الذين تكوّنوا بالخارج في الفترة الأولى للاستقلال بأكاديمية الفنون الجميلة في القاهرة في الفترة من 1962 إلى 1967. كان عضوا في الاتحاد الوطني للفنون التشكيلية، عمل في مجال التربية الوطنية ثم مفتشا لمادة الفنون التشكيلية، ويعد من الفنانين النشطين إبداعا وكتابة وتشكيلا، ويعد مرجعا لغالب الباحثين في مجال تاريخ الحركة التشكيلية الجزائرية. له العديد من المعارض الفنية الشخصية والجماعية داخل الوطن وخارجه. واحد من الفنانين الذين عالجوا قضية الثورة في عدة لوحات، والذي صوّر مجموعة من الأعمال متناولا فيها موضوع الثورة التحريرية، منها لوحة الجريح، والشهداء، واللاجئين، والشهيد، وأرملة الشهيد (ينظر: شكل رقم 09) التي تُصوّر الشهيد مشنوقا في شجرة وزوجته بجواره على ركبتيها، وللعمل رمزية وتذكير بإعدام الفنان الجزائري **علي معاشي** بولاية تيارت شنقا في شجرة بالشارع، يوم 8 جوان 1956 والذي يعد عيدا للفنان بالجزائر. واللوحة التي تصف حياة الثوار الجزائريين ومعاناتهم في الجبال وتوضيح وسيلة ترحالهم وهو الحمار وما يحمله من مئونة للمجاهدين والخلفية بالألوان الحارة ليعبر بها عن الثورة التحريرية. والشكل رقم (10) يوضح ذلك.



لوحة أرملة الشهيد، زيت على قماش شكل رقم (09)



مناظر من ثورة التحرير، زيت على قماش شكل رقم (10)

السيرة الثورية والفنية لفنانين آخرين:

والفنان **إسماعيل صمصوم** الذي عبر عن موضوع الثورة، كلوحة **رجل أول نوفمبر**، ولوحة **الشهيد** الموجودة بمتحف الوطني للفنون الجميلة بالجزائر العاصمة، ولوحة **إفريقيا الخصبة** التي عبر فيها عن الوحدة الإفريقية.

"ومن كان إنتاجهم في السجون الفنان **محمد عويس** ابتداء من 1961 فسجل الكثير من المعاناة التي عاشها أثناء الكفاح المسلح وولد العديد من الشهداء، وأيضاً الفنان **عبدالعزیز رمضان** الذي ينتمي إلى فئاني المعتقلات فأنتج العديد من اللوحات وأطلق عليها اسم المعتقلات التي تنقل بينها أيام الثورة التحريرية"⁽¹⁴⁾.

والملاحظة العامة التي تبدو لنا أن المواضيع الثورية قد عرفت رواجاً كبيراً لدى الفنان الجزائري في الأيام الأولى للاستقلال الوطني، وفاءً منهم لأرواح الشهداء الأبرار، فقد عبر الفنانون في أعمالهم في بداية الاستقلال عن انطباعاتهم إزاء الثورة، وسجلوا مختلف المراحل التي قطعتها الثورة من التحرير إلى الاستقلال والبناء والتشييد. كاللوحة التي رسمها الفنان **صالح حيون** سماها الاستقلال (ينظر: شكل رقم 11).



لوحة الاستقلال، تقنية مختلطة شكل رقم (11)

ارتبطت مسيرة الحركة التشكيلية المعاصرة في الجزائر بظروف تطورها وتطور فنانيها خاصة أولئك الذين تراوحت إنتاجاتهم بين ما قبل الاستقلال وما بعده، لتصبح أهداف الحركة الظاهرة في سمات وأساليب فنانيها بعد أن كانت قد حملت قضية الرد فنيًا وتشكيلياً على محاولات الاستعمار لمسح الشخصية الجزائرية، وتكوين شخصية فنية جزائرية ترتبط بعمق البنية الفكرية والحضارية والفنية للجزائر، على الرغم من أن التكوين الأول في فن التصوير فرنسي، إلا أننا نجد اختلافاً ضمنيًا في الأعمال التشكيلية الجزائرية يرتبط بما لدى الفنانين من موروث ومن غنى في مصادر التشكيل، لذلك فإن استمرار إنتاج الفنانين التشكيليين وتطوره يمتد بقدر ما تتسع تلك المصادر، مع أن عددًا كبيراً قد نزع إلى أساليب مختلفة حملتها تأثيرات ظروف تطوره وجعل عناصر التشكيل لديه تمتد إلى قيم تعبيرية.

الفنان **شكري محمود مسلي** (1931- 2017) واحد من مؤسسي **جماعة أوشام**، ولد بمدينة تلمسان التي عاش فيها طفولته قبل أن تنتقل أسرته إلى الجزائر العاصمة عام 1947، ويبدأ باكراً من هناك تعلم الرسم في مدرسة الفنون الجميلة على يد **محمد راسم**. وشارك في تلك الفترة في تأسيس مجلة **شمس** اليسارية الطابع والتوجهات. انتقل إلى باريس ملتحقاً بمدرسة الفنون الجميلة فيها وقد أقام أول معرض له عام 1956 لكنه انقطع مثل العديد من التشكيليين الجزائريين عن ممارسة الفن وانضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني ضد الاستعمار الفرنسي، وابتكروا طرقاً عديدة لمقاومته كما كان مؤمناً بضرورة التحديث في بناء الدولة والمؤسسات. عبر هو الآخر عن الثورة بلوحته الشهيرة **الجزائر ملتهبة** التي أنجزها سنة 1962 هي لوحة تجريدية فيها نوع من التكوين الهندسي يعبر عن البناء المعماري، والغالب على اللوحة اللون الأحمر يرمز إلى النار والدم في آن واحد، إلا أن هناك شمساً مشرقة باللون البرتقالي تعبر عن الأمل والاستقلال (ينظر: شكل رقم 12).



شكري مسلي، لوحة الجزائر ملتهبة، 1963، 100×56 سم زيت على قماش شكل رقم (12)

ومن الفنانين الذين عبروا عن الثورة تشكيليًا الفنان **عبد الحميد لعروسي**، من مواليد 1947 بالمسيلة خريج مدرسة الفنون الجميلة بباريس، قام الفنان بتصميم العديد من الجداريات بالجزائر العاصمة والمسيلة كما نظم العديد من المعارض لأعماله في الجزائر وفي الخارج بداية من السبعينات. ترأس **عبد الحميد لعروسي** سنة 1993 الاتحاد الوطني للفنون التشكيلية، كما أشرف في نهاية مشواره على رواق محمد

راسم بالجزائر الوسطى وشارك في العديد من اللقاءات والتظاهرات الوطنية و الدولية حول الفنون التشكيلية. توفي عن عمر يناهز 67 عاما يوم 4 جويلية 2014. ومن لوحاته المعبرة عن الثورة لوحة **غضب نوفمبر** حيث نلاحظ ورقتين لفاكهة العنب باللون البني القاتم لتعبر بها عن خريف ثورة نوفمبر 1954 الأسود المليء بالمعاناة من الجروح والانتهاكات للبيوت والشرف والاعتقالات، وكيف انفجر الشعب معبرا عن ذلك بعملية اللطخ بالألوان (ينظر: شكل رقم 13).



الفنان مع لوحة غضب نوفمبر، ألوان مائية

شكل رقم (13)

الثورة في أعمال بابلو بيكاسو: من الأعمال التي رسمها بيكاسو عن ثورة الجزائر، إعادة رسم لوحة **نساء الجزائر في مخدعهن للفنان أوجين دي لاكروا** ليترك عنوانها **نساء الجزائر فقط**، بأسلوبه التكعيبي، وما يثبت أنها رسمت من أجل القضية الجزائرية، تزامن رسمها مع الثورة التحريرية سنة فبراير 1955، وكأن بيكاسو يقول إن هؤلاء النسوة سيتحررن من الصورة التي وضعهن فيها **دي لاكروا**. إذ رسم هذه اللوحة 15 مرة بطريقة مختلفة دعما منه للحركات التحريرية في العالم ومنها الجزائر. كما أنجز بيكاسو بورتريه للمجاهدة **جميلة بوباشا** قصد تنويع الثورة الجزائرية التي شاركت فيها المرأة بقوة (ينظر لوحة نساء الجزائر: الشكل رقم 14)، وينظر: الصورة الشخصية وبورتريه جميلة بوباشا الشكل رقم 15)، وقد أعاد رسمها الفنان الجزائري **مصطفى بوطاجين** وهي حاملة للوحة **بابلو بيكاسو** بأسلوبه المختلط بين الكولاج والزيت (ينظر: الشكل رقم 16).



بيكاسو، لوحة نساء الجزائر، 1955، 130/195سم، زيت على قماش شكل رقم (14)

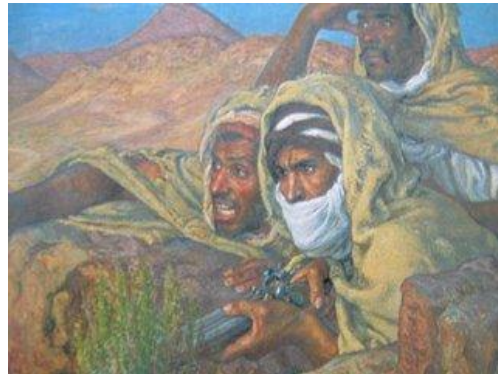


بيكاسو، لوحة المجاهدة جميلة بوباشا، برفقة الصورة الحقيقية لها شكل رقم (15)

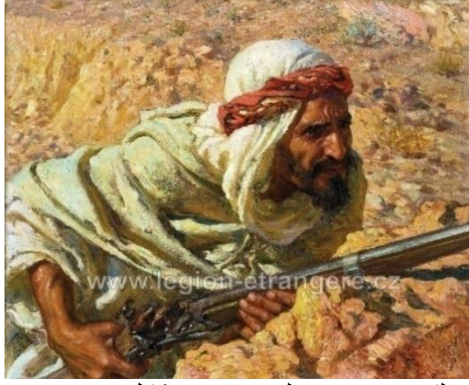


بوطاجين مصطفى، جميلة بوباشة تحمل صورة بيكاسو
شكل رقم (16)

المقاومة في أعمال المستشرقين: نذكر في هذا السياق الفنان المستشرق والمسلم نصر الدين دينيه Alphonse-Étienne Dinet الذي تناول قضية المقاومة الوطنية تشكيلا وكتابة. ولد ألفونس إتيان دينيه سنة 1861 بباريس في وسط عائلة برجوازية، كان والده محاميا لدى محكمة "السين" وكان جده المهندس ابن وكيل الملك في "فونتين بلو". أمّا أمّه "لويز ماري أدل بوشيه"، فقد كانت أيضا بنت محام⁽¹⁵⁾. توفي دينيه سنة 1929. له عدّة أعمال تصويرية لمشاهد من المقاومة الجزائرية كمشهد الكمين في لوحتين شكل رقم (17) ورقم (18)، ولوحة الجريح، ولوحتين للمجاهد (شكل رقم 19 ورقم 20) واجتماع المجاهدين شكل (21).



نصر الدين دينيه، الكمين، زيت على قماش، 1913،
شكل رقم (17)



الكمين، زيت على قماش شكل رقم (18)



لوحة المجاهد شكل رقم (19)



لوحة المجاهد، شكل رقم (20)



لوحة اجتماع المجاهدين شكل رقم (21)

خلاصة:

يمكن القول بأن الفن بتنوّعه، مسرحا كان أو سينما، موسيقى أو فنا تشكيليا، له دور في الحراك الثوري خاصة لما يحتاج إليه الثوار من دعم معنوي وثبات على الأفكار، فأهمية الفن تكمن في تغيير المشاعر وربما قلب القوى. وهكذا عمل الفن بصفة عامة، وبخاصة الفن التشكيلي في الجزائر الذي كان له أثرا إيجابيا على مستوى أفراد الشعب، من خلال نشر الوعي عن طريق المنشورات المصورة والكاريكاتير التي تفضح جرائم وسياسة فرنسا في حق الشعب الجزائري.

فالفنان التشكيلي لم يقف مكتوف الأيدي ضد المستعمر بل حاربه بالنفس والنفيس، كل بطريقته، وربما كانت الريشة أخطر من القنابل، ولاسيما عند خروجها إلى العالم والرأي العام، كونها تشكل خطرا على المستعمر أكثر من الذي يحمل السلاح. وهو ما ناضل لأجله الفنان التشكيلي الجزائري في فترة الثورة التحريرية، وذلك بخلق نوع من التوعية والتحسيس للشعب الجزائري من جهة وللمستعمر من جهة أخرى، وذلك بكشف جرائمه وربما إحساسه بالذنب فيعترف بجرائمه لاحقا.

الهوامش:

- 1- شوكت الربيعي، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي، هلا للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص65، 64.
- 2- الصادق بخوش، التدليس على الجمال، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 2002، ص. 26.
- 3- عبدالرحمن جعفر الكناني، منمنمات محمد راسم تحاصر خطيئة هنتغتون مبكرا، www.middle-east-online.com
- 4- الموقع نفسه.
- 5- جمال قطب، الفن والحرب، القاهرة، دار مصر للطباعة، ط2، د. ت. ص. 106.
- 6- عبدالرحمن جعفر الكناني www.middle-east-online.com
- 7- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الجزء الثامن، ص. 433.
- 8- الصادق بخوش، المرجع السابق، ص. 34.
- 9- المرجع نفسه، ص. 34.
- 10- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثامن، ص. 429.
- 11- حنيفي هلايلي، صورة عمر راسم من خلال جريدة ذو الفقار، محاضرة في الملتقى الدولي: عمر راسم (1884-1959) الفنان المبدع والوطني الثائر، الجزائر العاصمة، قصر الثقافة، 15 فيفري 2009، ص. 4.
- 12- www.echroukonline.com 12- أبو القاسم سعد الله، عمر راسم بين نخبة عصره، مجلة إلكترونية بوابة الشروق، بتاريخ 15-03-2009.
- 13- إبراهيم مردوخ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر، ط1، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها، 2005، ص. 245.
- 14- إبراهيم مردوخ، مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر، ص. 96.
- 15- سيد أحمد باغلي، نصر الدين دينيه الفنان المبدع في الرسم الجزائري، كتب المقدمة: د. أحمد طالب الإبراهيمي، ط3، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص. 11.